المدخل الى الجغرافية التاريخية

عدي يوسف مخلص
ماجستير التاريخ

المقدمة

بعد الاتكال على الله واستناداً الى الاية الكريمة ((وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)) اقدمت على الكتابة في موضوع الجغرافية التاريخية لانه من المواضيع الجديرة بالاهتمام لما فيها من مواضيع جديدة ومعلومات تقرب الماضي وتكشف كثيراً من الحقائق التاريخية.

فالجغرافية التاريخية وهي تعني دراسة تأثيرات العناصر الجغرافية على مسيرة الانسان وحياته منذ ان وجد على سطح الارض بمعنى آخر فانها تعنى بتأثير تلك العناصر في التاريخ، وموضوعها يتشعب الى عدة اقسام ودراستها ينبغي ان تكون عميقة وتحتاج الى جهود كبيرة، الا اننا نحاول الاختصار بما لايخل بالمضمون لان بحثنا هو (المدخل الى الجغرافية التاريخية) ولا تخلو دراستنا من النواحي الفلسفية وذلك لتباين الاراء واختلاف الاهواء في تفسيراتها، ولالقاء نظرة سريعة على العناصر الجغرافية التي نعنيها وخاصة العوامل الطبيعية التي اثرت على حياة الانسان وتكوين حضارته البشرية لابد لنا ان نذكر المناخ والموقع والتخوم والمواصلات والبيئة (الطبيعية) والجبال والانهار والمسطحات المائية وكلها عوامل مؤثرة تأثيراً كبيراً على مسيرة الانسان التاريخية منذُ فجر التاريخ، ان المعلومات الغزيرة التي يستقي منها الباحث في الجغرافية التاريخية تستند الى الآثارالمادية من جهة وماوصل اليه من معلومات المدونه ابتداءً من تلك الرسوم والرُقم التي وجدت في الكهوف والقرى والمدن القديمة والكتابات التي دونها لنا الانسان القديم عندما تعلم الكتابة فعندما نجد صورة لانسان قديم يحمل بيده باقة من سنابل الحنطة او الشعير نستدل على انه تعلم الزراعة فنبدأ بفتح صفحة جديدة للكتابة عن كل ما يتعلق بتعلم الانسان للزراعة وتطورها

وتأثيرها على حياته ودخولها في التجارة واسلوب تعامله عن طريق المقايضة وغيرها من المعلومات يمكن ان يحتويها كتابٌ كامل والمهم لدينا هنا هو معرفة ذلك الاستقرار الذي استحدثه الانسان وحصل عليه بتعلمه الزراعة ذلك الاستقرار الذي ادى الى تغيير حياته تغيراً كبيراً ومن ثم حصلت تلك التطورات التي كانت نتيجتها قيام الحضارات القديمة.

ولابد ان اشير الى ان الانسان كان اسيراً لقوى الطبيعة وان تأثيره محدود باتجاه ما تفرضه الطبيعة عليه وان كانت المسألة هنا مسألة نسبية حيث بقيت العوامل الطبيعية سيدة الموقف الى يومنا هذا رغم ما وهبه الله من التنوير الفكري والتقدم التكنلوجي ورغم ما جاءت به الثورة الصناعية منذ القرنين الثامن والتاسع عشر الا ان سيطرة الانسان بقيت محدوده في السيطرة على العوامل الطبيعية التي لايستطيع كبح جماحها كثوران البراكين وحدوث الزلازل و الفيضانات المدمره وغيرها الكثير.

ولابد لي أن أذكر ان المصادر والمراجع التي تتناول موضوع الجغرافية التاريخية تنقسم الى قسمين منها ماكتب في التاريخ العربي الاسلامي او ماجاء في كتب الجغرافية العربية الاسلامية ومنها ماكتبه الغربيون امثال (جوردن ايست) في كتابه (الجغرافية توجه التاريخ) فانها جاءت مختصه بالجغرافيه التاريخية اما المصادر من النوع الاول فالبرغم من غزارة معلوماتها الا انها لم تنفرد في هذا الموضوع والقت كاهل التنقيب والبحث واستخراج الحقيقة على من يرغب في الكتابه في موضوع الجغرافية التاريخية.

واخيراً اود ان اذكر من انني احاول في بحثي هذا اظهار صورة التفاعل بين العوامل الجغرافي الطبيعية ونشاط الانسان للتعامل معها والذي نعبر عنه من انه (الجغرافية التاريخية).

وقبل اختتام هذه المقدمة لابد ان اشير الى المحاور التي قمت بدراستها والتي تتناول تأثير العناصر الجغرافية التي اثرت على التاريخ عبر العصور وبصورة تستوعب معنى (المدخل الى الجغرافية التاريخية) اولها اعطاء فكرة عامة عن فجر التاريخ واثر العوامل الجغرافية على نشاط الانسان وثانيها تأثير المناخ على مسيرة التاريخ وثالثهما اثر البيئة ورابعهما اهمية الموقع الجغرافي في التاريخ وخامسهما شرح معنى التخوم والحدود على حياة الدول وتاريخها وقدمت تعريفاً للجغرافية التاريخية قبل كل شيء اسأل الله التوفيق وارجو ان اكون قريباً من الكمال اذ ان الكمال لله وحده.

عدي يوسف مخلص

ماهي الجغرافية التاريخية وماهو تاريخ الجغرافية

نعني بالجغرافية التاريخية اثر العوامل الجغرافية على حياة الانسان ونشاطه عبر العصور التاريخية منذُ العصور القديمة الى يومنا هذا، كما ان الجغرافية التاريخية تعنى بدراسة اثار العوامل الجغرافية كالتضاريس الارضية من جبال وهضاب وصحارى وانهاروبحار ومستنقعات وغابات ونباتات وتربه ودراسة المواقع الجغرافية واسباب قيام المدن او اضمحلالها كما تدرس بصورة خاصه العصور الجليديه واثرها على الحياة على سطح الكرة الارضية وتأثير ذلك على جميع الكائنات الحية ومنها الانسان والحيوان والنبات علماً ان كل تلك الدراسات يمكن ان نسميها (الجغرافية التاريخية) ان كل ما حصل من تغيرات وتطورات بكل ماتقدم عبر الاف السنين فيمكن ان نبين اثرها على حياة الانسان وتاريخه فمنذ البداية كان الانسان القديم يعيش عيشة تفرضها عليه الطبيعة وذلك قبل ان يطور نشاطه لمعالجة مايعترض حياته او يتحدى ذلك كما يعتقد المؤرخ توينبي في نظريته الاستجابه والتحدي[1] حيث يقول ان الظروف الصعبة اما في البيئة الطبيعية او الظروف البشرية فانها تعمل على تغير حركات الانسان كتغير موطنه او انه يعدل بيئته ويقول ان الارض الشاقة والوطن الجديد الذي جاء نتيجة لقساوة البيئة يشكلان تحديين يستثيران قوى الابداع في الانسان والتكيف للحياة الجديدة ويعتقدان الظروف الصعبة لا السهلة هي التي تستحث الانسان على التحضر ويعتقد ان رقة العيش تكون حائِلاً دون قيام الحضارة وسنتطرق الى هذا الموضوع لاحقاً في هذا البحث كل ماتقدم من المزيج بين المؤثرات التي تؤثر على حياة الانسان من الناحية الجغرافية وبين نشاط الانسان نفسه في تكييف حياته يمكن ان نستند عليه في التحليل الى حقيقة مايسمى (الجغرافية التاريخية) او بمعنى اخر تأثير الجغرافية في التاريخ.

وخلاصة القول ان مايسمى (الجغرافية التاريخية) هو عبارة عن تأثير العوامل الجغرافية بانواعها على حياة الانسان ومعيشته وتطورها وقبل ان نختم حديثي عن التعريف بالجغرافية التاريخية لابد لي ان اضع امام القارئ الكريم حقيقة علمية في القرآن الكريم او مجموعة حقائق نختار منها نموذجين، فقد تناول القرآن اهم عنصر من عناصر الجغرافية واوعز اليه الاهمية الاولى في حياة الانسان اصلاً ذلك هو الماء الذي يمكن ان نعتبره

عنصراً من العناصر الجغرافية التي تستند اليه الحياة البشرية منذ بداية الخليق والى قيام الساعة، فوردت في القرآن الكريم ايات بينات ذات علاقة كما اعتقد بالجغرافية التاريخية موضوع بحثنا هذا فنزلت الاية الكريمة (بسم الله الرحمن الرحيم – الذي جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناءً وانزل من السماء ماءً فاخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلو لله اندادا وانتم تعلمون)[٢]هكذا اثر سقوط المطر على وجود الانسان واستمرارية حياته فكان ذلك اثراً من اثار الجغرافية في حياة الانسان.

فيما اذا اعتبرنا عنصر الماء من العناصر الجغرافية، ونورد اية اخرى وردت في كتابنا المقدس (القرآن الكريم) والتي تنص (بسم الله الرحمن الرحيم – لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف – صدق الله العظيم). يمكن ان نفسر ذلك ضمن نطاق الجغرافية التارخية واثر العنصر المناخي على تجارة قريش ونشاط الانسان فكانت قبيلة قريش تُسير قوافلها التجارية الى الشام (سورية) في موسم الصيف حيث ينعدم سقوط المطر ويعتدل الجو هناك فلا تتعرض قوافلهم بما حملت الى التلف وفي الشتاء تتجه قوافل قريش نحو الجنوب الى اليمن لعدم وجود الامطار الموسمية التي تهب عادة على اليمن في الصيف، نكتفي بهاتين الايتين اللتان تتعلقان بمادة الجغرافية التاريخية.

اما بالنسبة لتاريخ الجغرافية فيهتم بدراسة كافة التطورات الجغرافية التي حصلت منذُ تكوين الكرة الارضية (بما تحتويه في باطن الارض او سطحها او اختلاف مناخها) وتنقسم هذه الدراسة الى عدة اقسام فالجيولوجيه تهتم بما تحويه الارض في باطنها من الصخور والمعادن ويبين لنا تطور تلك العناصر والجدير بالذكر ان تاريخ الجغرافية يزودنا بالكثير من المعلومات الجغرافية التي اثرت على حياة الانسان ويهتم تاريخ الجغرافية بدراسة نشوء الكرة الارضية وما حصل من التغيرات في شكلها والادوار التي مرت بها حيث تشير الدراسات المادية على ان شكل الارض الحالي يختلف عما كان عليه منذُ نشوء الكرة الارضية فمثلاً (على الارجح) وبعد دراسة مسهبه يقول العلماء المختصين بهذا الموضوع ان الجزر البريطانية كانت جزءاً من اوربا[٣]وان القارة الامريكية الجنوبية كانت متلاصقة مع قارة افريقيا اضافة الى ذلك فتاريخ الجغرافية يشرح لنا العصور الجليدية التي مرت على الكرة

الارضية وما خلفته من اثار بعد انسحاب الجليد الى خطوطه الشمالية ومن معلومات تاريخ الجغرافية تطور الصخور في باطن الارض والتي يهتم بها علماء الجيلوجيا كما انه يكشف لنا ان الجبال الانكساريه نشأت قبل الجبال الالتوائيه والجدير بالذكر ان دراسة التاريخ الذي هو عبارة عن دراسة المراحل التي مرت عليها الكرة الارضية من التطورات الطبيعية تعيننا على دراسة الجغرافية التاريخية حيث ان تلك التطورات (الجيولوجية والطبوغرافية والمناخية) تؤثر تاثيراً مباشراً على حياة الانسان ونشاطه وهذا هو ما نسميه (الجغرافية التاريخية) ان موضوع التاريخ الجغرافي لايمكن تغطيته بهذه السطور المحدوده انما هو دراسة مستغيضة وواسعة انما اشرت اليها للتعريف والتنويه بعلاقتها بالجغرافية التاريخية وموضوع بحثنا على امل التوسع فيها مستقبلاً انشاء الله في بحث خاص بذلك.

بداية التاريخ ومدى اثر الجغرافية على نشاط الانسان

ابدأ بحثي عن التاريخ القديم منذُ العصر الحجري القديم عندما كان الانسان يعيش عيشة بسيطة جداً ويقع تحت تأثير الظروف الطبيعية التي كانت جائرة في اغلبها حيث كان الانسان يعتمد على الصيد ويجمع قوته بيده وبضمنه صيد الاسماك ويقتلع جذور النباتات حيث كان منذُ بداية الامر لايعرف الزراعة وبعد جهود كبيرة اهتدى في العصر الحجري الحديث الى طرق جديدة وذلك خلال ٦٠٠٠ – ٣٠٠٠ ق.م، فانتج الطعام بمزاولة الزراعة ومن ثم استئناس الحيوان وتدجينه كل ذلك هيئته له الطبيعة فاثرت على حياته وهذه هي الجغرافية التاريخية، بعدها ظهرت اولى القرى التي انشأها نتيجة استقراره ومن بعدها تعلم انشاء المدن ثم تقدم الصناعة اليدوية فبالرغم من استخدام عقله وتفكيره باختراع ما يسهل عليه الزراعة مثلاً وفرت له الطبيعة المواد الاولية اللازمة لذلك فصنع الفخار واستخدام العجلة وغزل الصوف والقطن والكتان كما وقف على صناعة المعادن وتوج اعماله باختراع الكتابه (وان كانت في بدايتها رمزية وصورية ثم مقطعية) ثم تعلم التبادل التجاري ولابد لنا ان نبين ان اولى الحضارات نشأت في مصر وشمال غرب الهند وعلى ضفاف نهري دجلة والفرات ولكن لا نجزم ان هذه الحضارات قد سبقت الاخرى رغم انها على الارجح كانت منفصل

وبالرغم من وجود ادله على وجود حضارات اخرى في شمال سوريا واسيا اصغرى الشرقية المهم في الموضوع وليس اكون من المتطرفين في اثر الجغرافية على كل ماحصل مستثنياً النشاط الفكري الذي وهبه الله للانسان وجعله ذكياً (وعلمنا الانسان مالم يعلم) الا انني ارى تأثير الجغرافية واضحاً بعد ان دخلت من باب يسمى (الدخول الى الجغرافية التاريخية).
واعود واذكر مرة اخرى من ان الوقت الذي ظهرت فيه الحضارات تلك كانت ضمن منطقة مناخية مشابه للمناخ في الوقت الحاضر.

نبذة جغرافية:

لا اخرج عن موضوع بداية التاريخ واثر الجغرافية على حياة الانسان وابدأ بالسهل الرسوبي في وادي الرافدين (نهاية مجرى نهري دجلة والفرات) ومن الناحية الجولوجية (وهي جغرافية لاتخرجنا عن الموضوع) ان الجزء الجنوبي من العراق هو عبارة عن ارض هابطة تكونت نتيجة التواء جبال زاكروس في الزمن الثالث ثم اخذ المنخفض يطمر نتيجة لما حملته الانهار من فتات الصخور وما تجرفه سيول الربيع التي تنحدر من جبال زاكروس (غرب بلاد فارس) اضافة الى تجمع الاتربة والرمال بواسطة الرياح الهابه من الصحراء الغربية للعراق كل ذلك ادى الى عملية الترسيب عند مصبات نهري دجلة والفرات[٤]وكونت المستنقعات ومن ثم طمرت بمرور الزمن واقتطعت كميات كبيره من الخليج ربما بلغ تقدم الخليج نحو (١٥٠) ميل في فجر الحضارات فبعض المدن السومرية كاور واريدو اصبحت على ساحل الخليج في موقعها القديم.
كل ذلك ادى الى تجمع السكان لتوفير فرص المعيشة على هذه المناطق حيث تتوفر المياه والتربة الخصبة اضافة الى ان فيضانات الربيع كانت احدى عوامل ازدهار الزراعة بالرغم من انها تكون مدمرة في بعض السنين هذا من جهة ومن جهة اخرى ادى ذلك الى ان يفكر الانسان تنظيم تخزين المياه وتوزيعها وان كان ذلك بصورة اولية.
ولابد من الاشارة الى زراعة البردي الذي لعب دوراً كبيراً في الحضارة الانسانية القديمة عندما ساعد على انتشار الكتابة ومارافقها من المعاملات وتدوينها سواءً اكانت اقتصادية او اجتماعية ام حوادث مختلفة وقوانين ألم

يكن ذلك من العوامل الجغرافية التي اثرت على التاريخ؟ وهكذا نجد ان هناك تفاعلاً كبيراً بين العوامل الجغرافية وعناصرها في تفسير التاريخ وهذا بذاته هو الجغرافية التاريخية.

المناخ في العصر الجليدي

يعد المناخ اهم عامل اثر في تاريخ الانسان ويمثل ذلك بمرور الكره الارضية بمراحل او ادوار العصور الجليدية (Guhze) او (Mehdel و Riss و wurm) ففي هذه العصور تجمدت الاجزء الشمالية من العالم القديم ونتيجة لذلك اصبحت معيشة الانسان في تلك الاصقاع مستحيلة مما ادى الى هجرته من الشمال الى المناطق الجنوبية الدافئة نسبياً ولتقريب الصورة بشكل واضح نضرب مثلاً على ماحصل في نهري دجلة والفرات حيث تجمدت منابعها وفي منطقة نجد شمال الجزيرة العربية كانت تسقط الامطار الغزيرة مكونة مجاري واسعة للمياه تتجه نحو نهر الفرات (بحسب طبيعة تكون سطح الارض وانحدار الاراضي نحو مجرى نهر الفرات وهذا ماحمل كميات كبيرة من الرواسب من الاتربة والمواد العضوية مما ادى الى خصوبة ارض (السواد) سهل العراق ابتداءً من واسط والى الجنوب حيث تصب فيه نهري دجلة والفرات ويمكن القول ان وادي الفرات كان اسبق صلاحية للسكن مما ادى الى قيام الحضارات القديمة وهكذا اثر العامل الجغرافي على تاريخ الانسان وبعد ان انحسر الجليد خلف وراءه وديان كانت الثلوج عند ذوبانها قد كونتها فاصبحت مسالك صالحة لسير القوافل التجارية بين العراق والجهات الغربية كل ذلك جاء نتيجة للعوامل الجغرافية ونتيجة ذلك الاستقرار وتوفر ظروف العيش للانسان القديم فنشأت اولى دويلات المدن ثم بعد حين من الزمن توحدت واصبحت دولة واحدة في زمن سرجون الاكدي[٥].

اما في اوربا فقد تغيرت المعيشة و تغيرت البيئة فمناطق الاشجار المخروطية والنفطية في جنوب شرق اوربا واصبحت في السهل الاوربي بمسافات شاسعة، ولابد لنا ان نذكر ان انسحاب الجليد ادى الى تغير كبيرفي الحياة على الكرة الارضية وحياة الانسان (التي نعنيها) فكان على الشعوب ان تختار احد الامور الثلاث[٦]

١-الهجرة بحثاً وراء بيئة جديدة اكثر ملائمة لحياتهم.
٢-لايمكن مبارحة مواطنهم وعليهم ان يتحملوا الظروف القاسية ويغيروا او يكيفوا انفسهم لمعيشتهم الجديدة.
٣-التفكير بحرفه جديدة لكسب رزقهم بممارسة الزراعة وتربية الحيوانات وكذلك استغلال وديان الانهار التي كان السكان غافلين عنها من قبل وخلاصة القول عمل الانسان القديم على ممارسة هذه الطرق جميعها ونتيجة لذلك ظهرت حضارة العصرالحجري الحديث، ويعتقد البعض ان المطر اخذ يتناقص بين ٢٠٠ – ٤٠٠م في عصر الرومان مما ادى الى اضمحلال الامبراطورية الرومانية وادت الى الاضطرابات في النواحي الاجتماعية والزراعية في ايطاليا مما ادى الى تداعي الامبروطورية الرومانية.

عناصر المناخ

تناول البحث هنا بقية عناصر المناخ وتأثيرها على التاريخ فللمناخ تاثيرٌ كبيرٌ مباشرٌ على نواحي النشاط البشري الذي تحفل فيه السجلات التاريخية.
ان بعض الجهات في العام تتمتع الان بنوع من المناخ يبعث في الانسان النشاط الجسدي والعقلي.[٧]
ويسمي المناخ مناخاً مثالياً اذا توفر هناك مدى حراري فصلي معين ورطوبه نسبية معتدلة وهذا ما يسود غرب اوربا وجزءاً كبيراً من الولايات المتحدة وخاصة شمالها الغربي مما يساعد على نشاط الانسان والجدير بالذكر انه يجب ان نفرق بين ماكانت عليه اوربا في الفترة بين (٥٠٠٠ – ٣٠٠٠ ق. م) بين اليوم الحالي ففي هذه الفترة كانت متأخره ومتخلفه لذا يجب ان نتريث في اعطاء حكمنا عن تاثير المناخ على الحياة قديماً وحديثاً وهناك ملاحظة اخرى لاتغيب عن الباحث في هذا الموضوع حقيقة مفادها ان تاثير المناخ يؤثرعلى الانسان بصورة مباشرة وغير مباشرة حيث يرتبط تاثير المناخ على نمو النباتات وعلى ظروف البيئة والتربه والسطح كل ذلك يؤثر بدوره على معيشة الانسان وطريقة معيشته فالمسألة متداخلة كلها نسميها تاثير العوامل الجغرافية على حياة الانسان وهي(الجغرافية التاريخية).

فالنباتات التي يعتمد عليها الانسان تتاثر بالمناخ والاشجار التي يستفيد من اخشابها تتاثر بالمناخ فمثلاً تتعرض كثير من المحاصيل الزراعية الى التلف عندما يكون المناخ قاسياً في برودته وبالعكس فخلو الجو من الصقيع ينعش المحاصيل الزراعية وهكذا بالنسبة لدرجة الرطوبة ولاننسى تاثير الرياح وتغير فصول السنة وسقوط الامطار ومواسمها كلها تاثيرات جغرافية على حياة الانسان.

وهناك ملاحظة لاحظتها عندما درست حملة نابليون على موسكو.

ان هذه الملاحظة جديرة بالاهتمام تتعلق بتأثير المناخ كعامل جغرافي يؤثر حتى في التاريخ السياسي للدول فعندما قاد نابليون بونابرت جيش فرنسا متجهاً الى موسكو في فصل تكسوا الثلوج اغلب الطرق التي مر بها مما ادى الى قتل الكثير من جنوده نتيجة لبرودة الجو وانه وقع في خطأ يتمثل بعدم تقدير الموقف المناخي (دعنا عن الخطة العسكرية وما تتطلبه الحملة) الا اننا نناقش موضوع الحملة الذي كان نتيجة لسوء الاحوال الجوية حيث قام بها في موسم الشتاء القارص وتجميد اراضي روسيا نتيجة لانخفاض درجات الحرارة في شتائها القارص فكان الفشل السياسي وتألب دول التحالف الاوربي ضد فرنسا انذاك مما ادى الى تدهور حالتها السياسية الم يكن ذلك بسبب الجغرافية وبمعنى اخر اثر الجغرافية في التاريخ السياسي لفرنسا؟ وينطبق مثل هذا او نحو منه على حملة المانيا الهتلرية في الحرب العالمية حيث كان المناخ والبرد القارص احد اسباب فشل حربه على روسيا وبالتالي خسارته للحرب باجمعها.

الموقع الجغرافي واثره في التاريخ

نقصد بالموقع الجغرافي عدة معاني منها مايخص المدن او الدول او المنطقة او موقع محدد بخطوط الطول والعرض في العصور الحديثة وموضوعنا مواقع المدن بالدرجة الاولى وخاصة المدن القديمة في التاريخ القديم ثم نتطرق الى اهمية الموقع بالنسبة للتاريخ الحديث والمعاصر فان كان موقع المدينة في وسط الاقليم يكون مهماً حيث سهولة المواصلات او الاتصال به كما ان الموقع استغل استغلالاً متفاوتاً في العصور المختلفة ويضرب لنا جوردن ايست[٨] مثلاً على ذلك مستشهداً اعلى اهمية موقع الجزر البريطانية فيذكر ان موقعها ذو اهمية كبيرة بالنسبة لتاريخها علماً ان هذا الموقع لم يكن ثابتاً خلال عصور التاريخ فقد ظلت متصله اتصالاً وثيقاً بالقارة الاربية خلال الاف السنين (العصرين الحجري القديم والاوسط) الا ان موقعها زداد اهمية في تاريخها الحديث بعد ان انفصلت عن القارة الاوربية[٩] فاصبحت منفتحة بموقعها على العالم باتجاه امريكا وافريقيه والشرق الاقصى.[١٠]

ومن جهة اخرى تنمو المدن في المناطق الجبلية وشبه الجبلية من جهة و السهول المجاوره من جهة ثانية فتكون محطات تجارية وكذلك مهمة من الناحية العسكرية ومثلنا في العراق مدينة زاخو وخانقين ولاننسى ان اقتراب النهرين مع بعضهما له اهمية خاصة في اختيار ابو جعفر المنصور لموقع مدينة بغداد بالاضافة الى اعتدال مناخها وتوفيرالزراعة في مناطقها.

كما ان موقع المدن الساحلية له اهميته التاريخية كموقع مدينة صور وصيدا على الساحل الشرقي للبحر المتوسط وموقع جنوة والبندقية بالنسبة لايطاليا وغيرها الكثير.

ونعود مرة ثانية لنؤكد على اهمية موقع مدينة لندن على نهر التايمس الذي جعلها تتوسع بعدما كانت قرية صغيره.

وفي بلدنا لاننسى مدينة البصرة ثغر العراق الباسم وموقعها على شط العرب واهميته ذلك باتصالها التجاري مع الخليج العربي كما ان موقع العراق بين الشرق والغرب اكسبه شهره عالمية[١١] وموقعاً مهماً بالنسبة للنقل الحديث (بواسطة الطائرات) كاقرب نقطة بين الشرق والغرب.

ومن المدن التي لاتنسى حيث نشأت في صحراء ولكن موقعها التجاري هو الذي ادى الى ازدهارها ونموها حتى اصبحت دولة كبيرة استطاعت تقف بوجه بعض الدول المعاصرة القوية في حقبة تاريخها الا وهي مدينة تدمر التي نشأت نشأة بسيطة كمركز تجاري يتوسط موقعه بين نهر الفرات ودمشق ان موقعها الجغرافي اثر على ازدهار تاريخها التجاري والسياسي اليس ذلك من اثار الموقع الجغرافي على التاريخ.

والملاحظ الهامة عند الكلام عن اهمية الموقع من الناحية التاريخية ان اهمية الموقع تتغير عبر العصور حيث تزدهر او تضمحل او بالعكس وتعود لنضرب مثلاً عن اهمية الجزر البريطانية حيث كان موقعها في الفترة الاولى من تاريخها على العكس عما هي عليه الان فقد بقيت الاف السنين بعيده عن اكثر الحضارات حيث كان موقعها بعيداً عنها الا ان بعد اكتشاف كولومبس (امريكا) فاصبحت ذات اهمية كبيرة بانفتاحها عى العالم.

اما قديماً فان موقعها كان مهملاً فمثلاً لم يكن موقعها في نظر الاباطره الرومان (عدا القسم الجنوبي منها) يستحق تجشم متاعب غزوها فالحديث عن الموقع لاهميته التاريخية يطول وانما هي اشارات ودلالات تتناسب مع عنوان بحثنا الذي يمثل مدخلاً للجغرافي التاريخية.

الطرق والجغرافية التاريخية

نعني بالطرق: المسالك التي تستخدم في النقل واهميتها في تطوير عملية انتقال الانسان منذُ نشأته على الكرة الارضية الى وقتنا الحاضر وهي كما هو معلوم تنقسم الى:-

الطرق المائية: (النهرية والبحرية) وطرق القوافل البرية وفي وقتنا الطرق الحديثة التي تخرجنا قليلاً عن موضوعنا مادمنا نتحدث عن التاريخ.

والجدير بالذكر ان اهمية الطرق لاتقتصر على انتقال الانسان من منطقة الى اخرى فحسب بل تشمل او انها عامل مهم يساهم مساهمة كبيرة في انتقال الافكار ومظاهر الحياة العامة ومظاهر النشاط البشري فالطرق لها صور متباينة ومتعددة كمسالك الصيادين ومسالك بين المناطق الجبلية وطرق حافات المرتفعات كما ان الطرق القديمة واقصد الموغلة في القدم هي الاخرى كانت تفرضها الطبيعة على الانسان لتحديد تنقله من منطقة الى اخرى فكانت الجغرافية هي التي تحدد له السير والانتقال من منطقة الى اخرى الا ان ذلك قد تطور بتطور الزمن فاستطاع الى درجة كبيرة ان يسيطر على مافرضته الطبيعة فاقتطع الاشجار في مناطق الغابات مثلاً ليشق طرقاً جديده او قيام المهندس الروماني بشق طرق امنه بين المناطق الجبلية بصورة خاصه لاستخدامها في العمليات الحرفية كما ان المناطق السهلية كانت ولازالت طرقاً بسيطه وسهله الاجتياز فيكون الانتقال ميسوراً بها اكثر من تلك التي تكون في المناطق الجبلية.

ولابد لنا ان نركزعلى اثر الجغرافية على حياة التاريخ او على الانسان القديم بالدرجة الاولى ولكن لايعني ان لانشير الى العصور الحديثة واهمية الطرق في حياتها التي ستصبح تعد حين من الدهر ضمن الاحقاب التاريخية فلابد من الاشارة الى اهمية ماجاءت به الثورة الصناعية من الوسائل الخلاقه لتحسين الطرق كما هو الحال بحفر او شق الانفاق تحت سطح الارض وخاصه في المناطق الجبلية ومثلنا عل ذلك (نفق ايطاليا – فرنسا) الذي يصل بين الدولتين او شق قناة السويس التي غيرت اتجاه الطرق البحرية بين الشرق والغرب وخدمت البشرية بمجهود بشري وهكذا بالنسبة الى حفر قناة بنما.

هذه نبذة بسيطة اقدمها كمدخل للجغرافية التاريخية واثر الطرق بصورة موجزة جداً لانها في موضوع (المدخل).

التخوم والحدود[١٢]

قد تشكل وحدة جغرافية دولة من الدول تختلف عن مجاورتها وتخضع هذه الوحدت لبعض المميزات والخصوصية وتبدو لنا بعض الدول او تجمعات السكان في بعض المناطق قديماً كانت هي الاخرى تحت تأثير الجغرافية الطبيعية ثم تباعدت اجزائها وتطورت والدخول في هذا الموضوع ذو عمق في الدراسة الخاصة بالجغرافية التاريخية.

ان كل دولة منذُ قديم الزمان مواقع محدوده تحيطها في العادة عوامل طبيعية ثم تبدأ تنمو وتتوسع ومن ثم قد تضمحل لعوامل اخرى متداخلة ان موقع الدولة اذا كان محاطاً بالبحارتكون في مأمن الى درجة كبيرة (في التاريخ القديم طبعاً) حيث تكون في موقع يصعب على الاعداء اجتياها (بصورة نسبية) ومثلنا على ذلك انعزال شبه جزيرة اسبانيا حيث تحيطها المياه من جهاتها الثلاث فمنذ فجر التاريخ اثر انعزال هذه المنطقة تأثيراً كبيراً على حياة الانسان فنشأت خصوصياته الاجتماعية واللغوية والسياسية تختلف عن دول او مناطق اوربا هذا من جهة ومن جهة اخرى يكون الدفاع عن كيانها اقوى من تلك المناطق المفتوحة السهلة وهكذا الامر بالنسبة للمناطق الجبلية او مناطق تحيطها الاحراش الكثيفة او الاهوار والمستنقعات كلها يمكن ان نقول ان الطبيعة عملت لها سياجاً منيعاً لحمايتها فيكون السكان في مأمن كل ذلك في التاريخ اما بعد قيام الثورة الصناعية فتختلف اختلافاً كبيراً.

وعلينا ونحن نتحدث عن التخوم والحدود ان نفرق بين استخدام كلمة تخوم (Frontier) وهي تعني المنطقة وبين كلمة حدود (Boundary) التي يقصد بها الخط المرسوم لتحديد حدود الدولة.

ان شكل الحدود القديمة بين الدول اقل وضوحاً منه في العصور الحديثة حيث نتيجة لمقررات المؤتمرات الدولية التي تنعقد عادة بعد الانتهاء من الحروب كالحدود التي وضعها مؤتمر فينا بعد حروب نابليون وحدود الدول بعد الحرب العالمية الاولى او الثانية.

وهكذا الا ندخل بالتفاصيل ونترك ذلك للبحوث المتخصصة في المستقبل وخلاصة الموضوع ان العوامل الطبيعية الجبال والبحار والصحارى والانهار شكلت اهمية كبيرة في تعيين الحدود بين الدول ويعتقد اخرون ان لايمكن الاعتماد على هذه الظواهر الطبيعية بالشكل النهائي.

وكثيراً ما تتحدى العوامل السياسية اثر(وخاصة العصور الحديثة) اثر التخوم فتتوسع الدول ا تتقلص لاسباب لاعلاقة لها بتأثير الطبيعة بل تلعب القوة العسكرية دوراً كبيراً في التغلب على ماتعنيه التخوم الصعبه ولا ضرورة هنا لشرح هذه الحقيقة المعروفة في التاريخ الحديث ولكن تبقى المناطق الجبلية (كجبال هملايا والبرانس) وتبقى مناطق الاحراش والمستنقعات كما في (منطقة فيتنام) من العوامل المهمة او بمعنى اخر من التخوم الصعبة في العمليات العسكرية الى درجة كبيرةوقد كتب لنا (جوردن ايست) بشيء من التفصيل عن اثر التخوم[٣]في العصور الوسطى في منطقتين برطانيتين حيث التي قسمتها الى قسمين سياسيين (انكلترا واسكتلندا) وتعد دراسة الجغرافية التاريخية لتخوم بريطانيا واثرها على الدولة البريطانية على درجة كبيرة من الاهمية لمن اراد التوسع في اثر التخوم في التاريخ السياسي وهذا مانشير اليه لكوننا في مدخل الجغرافية التاريخية.

البيئة والجغرافية التاريخية

تؤثر البيئة تأثيراً كبيراً على حياة الشعوب الا اننا يجب ان لانغالي بهذا الاعتقاد ولدينا ادلة واقعية على عدم المغالاة فمثلاً لانشترط ان تكون الجزر التي تحيطها المياه تتأثر بالبيئة البحرية فمثلاً لم يتأثر سكان الجزر اليابانية لعدة قرون بالبيئة البحرية وهكذا لم يكن الانكليز تجارةً مهرة في قديم الزمان بالاضافة الى ان الظروف الطبيعية والمعيشية الضرورية لمعيشة الانسان هما اللذان يؤثران على حياة الشعوب بصورة فعلية وقد يعتمد الانسان على نوع اخر من بيئة او يعمل على تغييرها ضمن مصلحته معيشته او وفقاً لما يضمن استمرار حاجته من الموارد الغذائية التي تسد حاجته ونعود ونقول مركزين في حديثنا على العالم القديم فالبرغم من وجود الفحم والحديد في الصين مثلاً منذ القدم الا ان الصينيين اتجهوا نحو الزراعة مرتبطين بالارض وهكذا نجد ان مناطق زراعة القمح في جنوب الولايات المتحدة الامريكية كانت يوماً ما منطقة رعوية ومثال اخر نورده عن البيئة الاستوائية في جنوب الصومال الا ان السكان هناك اضطروا ان يقطعوا اشجار الموز الطبيعية التي ينتشر نموها في مساحات واسعة اقتطعت لتحويل ارضها الى مناطق تصلح لزراعة الحبوب لسد معيشتهم ولايجب علينا ان نغالي ايضاً في هذا المجال المتمثل باستطاعت الانسان تغيير بيئته وتبقى مسألة نسبية تؤثر الطبيعة تأثيراً كبيراً لاحول للانسان ولاقوة للسيطرة عليها ومن الامور التي لايتمكن الانسان السيطره عليها اتساع التصحر فقد يعيش البدو في منطقة صحراوية تتوفر فيها وسائل البيئة الصحراوية (قلة الزراعة واقتصارها على الواحات وقلة المياه وقلة الاعشاب) كل ذلك يتأثر تأثراً كبيراً ويزاد تأثيره عندما ينتشر التصحر او تعمل تعرية التربة عملها او تقل (الامطار القليلة) فتتغير البيئة من حال الى حال ويضطر الانسان الى تغير وسائل معيشته وتكن المحصلة (الجغرافية التاريخية).

لايمكن الركون او الاطمئنان على البيئة الطبيعية فهي تبقى بعيدة عن الامان فقد تتغير في اي لحظة رغم التقدم العلمي والتكنلوجي في عصرنا الحالي ولهذا يمكن ان نقول ان في التاريخ القديم كانت البيئة الطبيعية تؤثر تأثيراً كبيراً على حياة الشعوب.

والذي يرغب من المؤرخين والباحثين التوسع في مجال الكشف عن اثار البيئة على مسيرة تاريخ الانسان والبشرية بصورة عامة عليه ان رغب بذلك ان يصنف انواع البيئات المختلفة كالبيئة الطبيعية التي هي الاخرى تتفرع الى عدة فروع ومنها البيئة الصناعية والبيئة الاجتماعية التي تبحث في معايير الانسان وعاداته وتصرفاته بين التصرفات السيئة والحسنة ومايرافق ذلك في العادات والتقاليد والتي تختلف هي الاخرى من منطقة الى اخرى او من شعب الى اخر، كل ذلك يمكن بحثه وفق البحوث المطولة الواسعة والتي اعتقد ان مثل هذه الدراسات في بداية الطريق في اطار الكشف عن التاريخ البشري والتوسع في اغناء الثقافة العامة بالمعلومات القيمة والشيقة بالوقت نفسه. ذكرنا هذا المقططفات بصورة موجزة جداً ونحن نمسك بمفتاح المدخل الى الجغرافية التاريخية ومن يرغب في فتح هذا الباب فالمجال متاح له الا انه يحتاج الى جهود ليست من السهول بمكان بل تحتاج الى نوع من التكثيف والتدقيق والعمل المتواصل للوصول الى الغاية المنشودة لاستخلاص الحقائق التاريخية من خلال مزج مايتوصل اليه الباحث من المعلومات التي اساسها الجغرافية بالاضافة اى المجهود البشري والتي ستكون ثمارها يانعة واسمها الجغرافية التاريخية.

نشوء المدن والجغرافية التاريخية

يستند نشوء المدن الى العامل الجغرافي فتكون الجغرافية احدى الاسس المتينه في بناء المدن وتطورها واتساعها واهميتها وتصنيفها الى مدن عسكرية او صناعية او زراعية او حتى دينية او سياحية او تجارية.

والذي يتصفح كتب التاريخ يجد ان الاكتشافات الاثرية التي تمت بموجبها اكتشاف المدن في الحضارات القديمة كما في الهند (غرب الهند) والعراق ومصر يجد بالاضافة الى مجرد اكتشاف قيام تلك المدن الذي يدل على وجود حضارة في تلك المناطق نجد ان تلك المدن قد تطورت وكان تطورها متزامناً مع تقدمها في الحصارة بمجالاتها الاخرى والملاحظ ان اقدم المدن في التاريخ نشأت في مواقع وديان الانهار كوادي النيل ووادي الرافدين والسند حوالي ٣٠٠٠ ق.م كما ان نشأتها يمكن ان نعتبره خطوه تقدمية نحو الامام لانها جاءت بعد قيام القرى التي نشأت قبلها والمهم ان نذكر ان البيئة الجغرافية كتوفر المياه والتربة الخصبة والمناخ المعتدل هذه العوامل التي يحتاجها الانسان لاستقراره وبناءه للمدن التي يسكنها لاول مره وانشأ فيها مختلف انواع الصناعات كصناعة الادوات من المعادن وطور فنون عمارتها واهتم بالفنون الجديدة واستخدام الآجر وتطوير مواد البناء لتلك المدن واستمرار تيار الحضارة (ان جازت لنا هذه التسمية) فظهرت الكتابة والتقويم الزمني الذي احتاجته الحياة الزراعية والتجارية وحتى الحياة الدينية ومعرفة المواسم هكذا بدأ تطور المدن القديم الى ان حدث التغيير العنيف الذي تمثله الثورة الصناعية في القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر بعد الميلاد.

واضافة الى ذلك فان ماحصل من مقومات الحضارات الاولى للمدن قد انتشر الى خارج المناطق التي ظهرت بها تلك المدن الحضارية الاولى فكان لنشوء المدن المتحضرة قديماً في جنوب العراق مثلاً ايام السومريين اثراً كبيراً في انتقال ماموجود لديها من العوامل الحضارية التي نمت فيها الى سوريا واسيا الصغرى مثلاً وكذلك ماحصل من تقدم المدن الفينيقية كمدينتي صور وصيدا قد امتد اثره الى جزيرة كريت (في البحر الابيض المتوسط)

وهكذا نجد ان الحضارة واعني حضارة المدن قد انتشرت الى خارج المناطق التي ظهرت فيها.
تنقسم المدن الى وحدات متعددة منها مدن الاسواق التجارية ومدن الموانئ البحرية ومدن العواصم ومدن السياحة والمدن ذات الطابع الديني.
ولاننسى ان الانسان منذُ بداية تكوينه للمدينة كان يتريث ويختار موقع المدينة قبل ان يستقر بها فيدرك ان تتوفر في مواقع المدن الاراضي الخصبة لتوفر له الزراعة اضافة الى توفر المياه كما اسلفنا كما انه يراعي في كثير من الاحيان ان تكون البقعة التي يختارها لنشوء مدينته عليها ان تكون محمية وتكون عملية الدفاع عنها سهلة وهنا تتعدد العوامل التي تشترك في انشاء المدينة ولايفوتنا ان نذكر العامل البشري الخاص في نشوء المدن في بعض الاحيان كانشاء دير من الاديرة او مركزاً تجارياً بسيطاً في بداية الامر يتوسط الطرق التجارية (كنشوء مدينة تدمر).
واذا ما تقدمنا بدراستنا مبتعدين عن التاريخ القديم قليلاً نجد ان هناك عوامل جغرافية ساعدت على قيام المدن التي اصبحت فيما بعد من العواصم المهمة لامبراطوريات قامت على مدى التاريخ البشري كما في نشوء مدينة بغداد او روما او مدينة لندن كلها نشأت نشأة بسيطه كان للعامل الجغرافي دور مميز لنشوئها وازدهارها فيما بعد.
كما ان بعض العوامل الجغرافية التي تعمل على ازدهار المدينة هي ذاتها تعمل على اندثارها واضمحلالها فالمدن التي تنشأ اولاً بالاعتماد على توفر العوامل الطبيعية التي اعتمدت عليها في قيامها قد يحصل ان تعمل تلك العوامل الطبعية على انحلالها كما اسلفنا فمثلاً يعتقد ان افول نجم ازدهار مدينة تدمر كان سبب تغير كمية الامطار التي كانت تسقط عليها اضافة الى العوامل السياسية والتجارية الاخرى وهكذا يؤثر تغيير مجرى النهر الذي تعتمد عليه المدينة على حياتها بالتدريج الى ان تندثر وهذا لايتم بين عشية وضحاها انما يستغرق عشرات السنيين.
كما ان العامل الجغرافي له اهميته في الموانئ التي تقع على الخلجان التي كثيراً ماتتأثر بظاهر المد والجزر (وهي ظاهرة جغرافية) فتساعد هذه الظاهره على دخول السفن قديماً والبواخر الضخمة حديثاً عندما يحدث المد وهذا مايجعلها متميزة من الناحية التجارية وحركة المواصلات البحرية

ومثلنا على ذلك كمدينة البصرة في العراق ومدينة لندن وغيرها، هذه العوامل التي تساعد على قيام المدن عوامل جغرافية. نعم لاتكون هي الاولى والاخيره في ازدهار المدن بل انها احدى العوامل المهمة وهكذا تساعدنا الجغرافية في انشاء المدن وازدهارها وللمزيد من المعلومات الغزيرة حيث من الممكن التوسع في هذه المواضيع تحت عنوان الجغرافي التاريخية ونضع بين قوسين عبارة (نشوء المدن).
واخيراً اسأل من الله ان اكون موفقاً في اعطاء فكره بسيطه عن الجغرافية التاريخية خدمة للثقافة العامة ولاستخلاص بعض الحقائق التاريخية وشكراً.

ما ورد عند المسعودي

ورد في المسعودي[٤]مايشير الى الجغرافية التاريخية ذكر لنا الفرات واصفاً مبدؤه الى نهايته اما الذي نهتم به هو بيان ما تضمنه من الجغرافية التاريخية ولنقرأ هذا النص
((وقد ذكر ما قلنا عبد المسيح بن عمرو بن بقلية الغساني حين خاطب خالد بن الوليد في ايام ابي بكر بن ابي قحافة رضي الله عنه حين قال له ماتذكر؟ قال اذكر سفن الصين وراء هذه الحصون فلما انقطع الماء من مصبه في ذلك الموضع انتقل البحر براً فصار بين الحيرة وبين البحر في هذا الوقت مسيرة ايام كثيرة، ومن رأى النجف واشرف عليه يتبن له ما وصفناه، ولتنقل دجلة العوراء فصار بينهما وبين دجلة العوراء في هذا الوقت مسافة بعيدة، ويقول كذلك (فاذا تباعد النهر اربعة الاف ذراع من موضعه الاول خربت بذلك السبب مواضع وعمرت مواضع) ويقول (واذا وجد الماء سبيلاً متخفضاً وانصباباً وسع بالحركة وشدة الجرية لنفسه فاقتلع المواضع من الارض من ابعد غايتها، وكلما وجد موضعاً متسعاً من الوهاد ملأه في طريقة من شدة جربته حتى يعمل بحيرات وبطائح ومستنقعات تخرب بذلك بلاد وتعمر بذلك بلاد) ويمكن ان نستنتج ما نجده قد ثبت بين سطور النص السابق معاني للجغرافية التاريخية ونقدمها كنموذج بسيط كما نستفد منه لنجعله ضمن المدخل الى موضعنا فقوله عن ذكر سفن الصين التي كانت تصل الى بحر النجف يدل على ان التجارة كانت قائمة بين الصين والعراق ومنذُ عهود قديمة وهذا يدخل ضمن تاريخ تلك الحقبة من الزمن التي تحدث

عنها المسعودي واوضح ان النهر بتغير مجراه تتغير مواقع المدن فيندثر منها ويعمر اخر وهذا بالذات ماتعنيه الجغرافي التاريخية والجدير بالذكر ان الباحث الذي يسعى لاستخراج كتبتهُ كتب الجغرافية العربية الاسلامية من معلومات واوصاف للدول والمناطق وفي مختلف جهات العالم الاسلامي وماأثرت الجغرافية في التاريخ عليه ان يمعن النظر ويتأنى بقراءة الكتب الجغرافية[٥]ويقرأ مابين السطور ليستخلص منها معلوماته عن الجغرافية التاريخية حيث لايجد عنواناً لها مستقلاً يسهل عليه البحث فالبحث في هذا الموضوع يحتاج الى جهود كبيرة والباحث في هذه الكتب سيجدها قد احتوت على معلومات جغرافية قيمة الا انها تركز على الاوصاف (اوصاف الانهار والجبال والصحار والوديان والاهوار والمستنقعات والبطائح والطرق والمدن وغيرها الكثير) الا ان وصف كل ذلك لايعني الجغرافية التاريخية انما يجب عليه ان يستعمل من تلك المعلومات تأثير العناصر الجغرافية على تاريخ الحقبة التي يتناولها الجغرافي هذا الجهد يقع على عاتق الباحث في الجغرافية التاريخية.

ولنأخذ مثلاً اخر بعد ان نذكر كتاب المقدسي البشاري احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم فانه كغيره من الكتب الجغرافية كتاباً ملئ علماً واوضح لنا صورة العالم الاسلامي الذي زاره بكل دقة علمية الا اننا اذا اردنا ان نطلع على ماتضمنه الكتاب من معلومات خاصة بالجغرافية التاريخية يجب علينا ان (نقرأ مابين السطور)

رأي منتسكيو (Mohtesgvie)[١٦]

يقول منتسكيو ان العوامل التي تشكل الدولة وشكل الحكومة وشخصية الامة ماهي الا عوامل طبيعية او معنوية اجتماعية ويقصد بالعوامل الطبيعية انه عوامل جغرافية يوليها منتسكيو اهتماماً كبيراً او يذهب الى ابعد من ذلك حيث يقول (يختلف الناس في مختلف الاقاليم تبعاً لعوامل المناخ وطبيعة الارض وموقع الارض ويعتقد ان للمناخ اثر على كل اجزاء الجسم الانساني او اخلاقه وعاداته وطباعه وكان لهذا الاثر الجغرافي على مايبدو تأثيراً حتى على الحالة الاجتماعية).

ذات الطابع الخاص ففي المناطق الحاره يكثر تعدد الزوجات وتحريم الخمر وغيرها لامجال لذكرها.

وكذلك يوعز الى تأثير المناخ في الانظمة الاقتصادية كالضرائب وحتى انظمة الحرب تكون وفقاً لشكل الحكم وهذا بدوره قد شكلته العوامل الجغرافية الا انه لايدخل في التفصيلات سواء انه كان من انصارالجغرافية توجه التاريخ ومادام بحثنا هو المدخل الى الجغرافية التاريخية وجدنا ان نعرض بعض اراء منتسكيو وللباحثين مجال التوسيع والتعمق والدخول الى الموضوع من باب واسعة سعياً وراء اكتمال الصوره التي هيئنا الجو لالتقاطها.

المقدسي والجغرافية التاريخية

يقول المقدسي (صنعاء هي قصبة نجد اليمن وقد كانت أجل من زبيد واعمر وكان الاسم لها واما اليوم فقد اختلت غير ان بها مشايخ) الى ان يقول (بلد رحب كثير الفواكه رخيص الاسعار واخبار حسنة وتجارات مفيدة اكبر من زبيد ولا تسل عن طيب الهواء فانه عجب ومع ذلك رفق معفٍ) نعم في النص المذكور (جغرافية تاريخية) ولكن القدسي رحمه الله لم يذكر لنا لماذا (اختلت) فلو ذكر لنا اسباب اختلالها لشهدنا له انه تطرق الى الجغرافية التاريخية، وهكذا لو ذكر اسباب طيب الهواء، ان عدم ذكر تفسير الامور الجغرافية واثرها على حياة الانسان لا يعني الانتقاص من كتاب المقدسي البشاري الا اني اقول من اراد أن يتابع الجغرافية التاريخية لدى الجغرافيين العرب المسلمين يجب عليه ان يبذل جهوداً كبيرة وان يفسر ما

يجده من الشذرات عن هذا الموضوع بعد عناء كبير حيث لم تقدم له المؤلفات الجغرافية المذكورة صورة مستقلة واضحة المعالم عن موضوع الجغرافية التاريخية لا كما تناولها (جوردن ايست) بالنسبة لحديثة على الجغرافية التاريخية وبالنسبة للحضارات القديمة ودول اوربا بكتابة (الجغرافية توجة التاريخ).

ويغلب الوصف على ما يذكره الجغرافيون العرب المسلمون على ما يذكروه من التعاليل والاسباب لمعرفة احول المدن وذكر العناصر الجغرافية كطيب الهواء او وصف الانهار والبحار كل ذلك الوصف يرد دون تعاليل يمكن الاستفادة منها في معرفة جذور جغرافيتها التاريخية.

رأي توينبي في الجغرافية التاريخية[١٧]

يعتمد رأي توينبي على دراسة البيئة كعامل من عوامل الجغرافية واثرها على مسيرة التاريخ البشري فيعتقد ارنولد توينبي ليس من الصحيح ان البيئة البسيطة هي التي تنبثق منها الحضارة لوحدها ويعتقد عند دراسته البيئة ان الحضارة التي قامت في حوض نهر الامزن (في امريكا الجنوبية) كانت نتيجة لبيئتها الجغرافية وان حوض نهر الكونغو فالبرغم من تشابه وقعها حيث تقع على نفس خط العرض الذي تقع فيه منطقة الامزون الا انها لم تنشأ فيها حضارة والنتيجة التي توصله اليها ان لكل حضارة بيئتها الخاصة ويضيف الى عوامل البيئة العوامل البشرية حيث ازدهرت حضارة سوريه الجرداء (اعتقد انه يقصد بها الحضارة التدمريه) حيث نشأت فيها الحضارة دون نشوءها في المناطق الخضراء كما ان منطقة دلتا النيل كانت مغطاة بالمستنقعات والادغال الا ان المصريين القدماء اصلحوها واقاموا فيها الحضارة هذه بعض الافكار نقدمها بصورة سريعة ونضمنها (المدخل الى الجغرافية التاريخية) خدمة لمن يرغب في التوسع في هذا الباب وعليه مراجعه كتابه (دراسة التاريخ) ففيه الكثير من المعلومات التي تساعد الباحث في الجغرافية التاريخية.

المصادر والمراجع

المقدسي البشاري/ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص٩٣.

١- القرآن الكريم: سورة البقرة.
٢- ابن حوقل: ابو القاسم النصيبي صورة الارض/ الطبعة الثانية.
٣- الاصطخري: ابو اسحق ابراهيم محمد/ المسالك والممالك.
٤- ايست جوردن/ الجغرافية توجه التاريخ.
٥- باقر: طة مقدمة في جغرافية العراق التاريخية/ مجلة الاقلام عدد(١١).
٦- باقر: طة مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة/ القسم الاول.
٧- التنوخي: محمد/ الفرج بعد الشدة (ص١١،ج٢).
٨- توينبي: ارنولد/ دراسة في التاريخ الجزء الاول ترجمة طه باقر.
٩- زرقانة: ابراهيم احمد/ الجغرافية التاريخية.
١٠- شريف: ابراهيم/ الموقع الجغرافي للعراق واثره العام في الفتح الاسلامي.
١١- المسعودي: ابن الحسن بن الحسين مروج الذهب ومعادن الجوهر.
١٢- المقدسي: شمس الدين ابو عبد الله بن احمد بن ابي بكر البشاري/ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم.
١٣- مونتسكيو: ترجمة عادل زعيتر/ روح الشرائع.
١٤- ليس فالكون: ج م. ن. ل التاريخ الجغرافي لسهول ما بين النهرين ترجمة صالح احمد العلي/ مجلة الجغرافية العراقية١٩٦٢.
١٥- هنتيجالون: الزوت الحضارة والمناخ.

الهوامش

١ - ارنولد توينبي: مفكر ومؤرخ انكليزي كبير يعتبر نفسه كمؤرخ سعيد الحظ انكب على دراسة الحضارات السابقة للتعرف على اسباب تدهورها، الف كتاباً (دراسة التاريخ) الذي استغرق تأليفه اربعين عاماً (١٩٢١ – ١٩٦١) ويقع في ٢٠ مجلد.
٢ - الاية ٢١ من سورة البقرة.
٣ -
٤ - كانا (دجلة والفرات) في الازمنه القديمة يحتويان على عدة فروع تصب في الخليج.
٥ - طه باقر / مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة / القسم الاول تاريخ العراق (بغداد – شركة التجارة للطباعة المحدوده) ١٩٥٥ ص١٠٣
٦ - (١) (Gordon chide the most Ancient east 1929)
(٢) (انظر الفصل الثاني من كتاب دراسة التاريخ ج تونبي الجزء الاول ١٦٣٤ ص ٣٠٢ – ٣٠٥.
٧ - انظر الزورت هنتجالون في كتابه (الحضارة والمناخ) (Civilition & elimate)
٨ - جوردن ايست: الجغرافية توجه التاريخ ص٢٧
٩ - كانت الجزر البريطانية مرتبطة بالقارة الاوربية جولوجياً.
١٠ - H.J Mackinder. British the British seas اي بريطانيا (البحار البريطانية ١٦٠٢ الفصل الثاني.
١١ - الجاحظ – البخلاء ص٢٩. التنوخي الفرج بعد الشدة جـ ٢ ص١١
١٢ - التخوم: هي المناطق التي تحيط بالدولة عادة، والحدود هي خطوط وهمية اوتخضع لعوامل سياسة ترسم بموجبها الحدود بين الدول و قد تكون الجغرافية عاملاًساعد لتثبيتها
١٣ - جورن ايست / الجغرافية توجه التاريخ
١٤ - المسعودي – مروج الذهب ومعادن الجوهر – ابي الحسن علي بين الحسين المسعودي ت ٣٤٦ هـ، جـ ١ ص٧٠
١٥ - ككتاب المقدسي / احسن التقاسم في معرفة الاقاليم وكتاب المسالك والممالك لابن حوقل ومسالك الممالك للاصطخري ومروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي.
١٦ - مونتسكيو / ترجمة عادل زعيتر: روح الشرائع الجزء الثالث المجلد الاول ص ٣٢٩- ٤٣٢
١٧ - ارنولد توينبي: يعتبر نفسه سعيد الحظ ان اتيحت له الحياة في فترة اضطرابات سياسية في الحربين العالميتن وجعل الحوادث من هذه الفترة مادة خصبة للمؤرخين. انكب توينبي على دراسة الحضارات القديمة ووقف على اسباب تدهورها الف كتاب (دراسة التاريخ) الذي استغرق تأليفه اربعين عاماً (١٩٢١ – ١٩٦١) ويقع في ٢٠ مجلد فسر تأثير الجغرافية على التاريخ بنظريته الخاصه.